

## الدعوة إلى الله في كل مجالات الحياة



في هذه الفقرة من دعاء الإمام زين العابدين (ع)، توضح أن يطلب الإنسان من ربّه بأن يوفّقه ليكون من الدعاة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، بحيث لا يكتفي الإنسان المسلم بأن يكون ملتزماً بإسلامه في نفسه، كما يقول بعض الناس: على أن أصلّي وأصوم وأعمل الواجبات وأترك المحرّمات، وليس لي شغل بالآخرين، لأنّي لا أُحاسّب في قبور الآخرين ولا الآخرون يُحاسبون في قبري، إذاً فأنا مسؤول عن نفسي ولست مسؤولاً عن غيري. وبعضاً من الناس يستشهدون بالآلية الكريمة (يَا أَيُّهَا الرَّحْمَنَ أَمَدْنُوا عَلَيْكُمْ أَرْفُوسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ) (المائدة/ 105). ويفسّرونها بأنّهم ليسوا مسؤولين عن غيرهم إنما هم مسؤولون عن أنفسهم، وهذا خطأ! عليك أن تقوم بمسؤولياتك، ومن مسؤولياتك هي الدعوة إلى الله. وبعضاً من الناس يعتقد أنّ مسؤولياته فقط هي أن يصلّي ويصوم: (وَلَتَكُنْ مِنَ الظَّاهِرَةِ يَدْعُونَ إِلَيِّ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 104)، الله سبحانه وتعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبين تماماً، كما أنّ الصلاة والصوم من الواجبات.

نعم، إنّ عليك بنفسك، ولكن ما هي مسؤولياتك في نفسك؟ كما أنّ مسؤولياتك أن تصلي وتصوم، فإنّ من مسؤولياتك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. أن تأمر أهلك بالمعروف (وَأَمِرْهُمْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه/ 132)، (يَا أَيُّهَا الرَّحْمَنَ أَمَدْنُوا قُوَّا أَرْفُوسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ زَارَا وَقُوْدُهَا النَّسَاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم/ 6)، فأنت الآن مسؤول عن نفسك وعن أهلك وعن الناس من حولك أيضاً، فإذا قصرت في ذلك فقد قصرت في مسؤوليتك أنت، فهذه تختلف عن (لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ) (المائدة/ 105)، لأنّك عندما تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتترك الدعوة إلى طاعة الله وتكون سلبياً في هذا المجال فقد قصرت في حقّ نفسك، مثلما تركت الصلاة أو الصوم.

وعندما تطلب من الله أن يجعلك من الدعاة إلى طاعته: "وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى طَاعَتِكَ" فمعنى ذلك أنّك ترغب في ذلك، والله سبحانه وتعالى يقول لك: أنا هديتك في هذا الاتجاه فعليك أن تتحرّك، لا أن تجلس في البيت وتقول: اللّٰهُمَّ اجعلني من الدعاة إلى طاعتك.

ومن هنا، إذا كنت ترى أنّاساً من أهلك عاصين الله بعيدين عن طاعته منحرفين عن نهج الله سبحانه وتعالى، فإنّ من واجبك أن تدعوهم إلى طاعة الله، ولا تقل لنفسك لست مسؤولاً، فما لم يجعل الإسلام مسؤولية أشخاص بعينهم، إنما جعله مسؤولية الناس كلّهم.

فإنما في بعض الأديان، الإسلام مسؤولية المسلمين جميعاً بعلمائهم ومثقفـ لهم وطنـ لهم وتجـ هم وجندـ هم.. كلـ إنسان حسب إمكاناته، فإذا رأيت إنساناً يسلك سلوكـ غير قويمـ فعليك أن تعمل على دعوته إلى طاعة الله سبحانه وتعالـى بالأسلوب الذي تملكـه.

استعملوا الأساليب التي تستطيعون من خلالها أن تـغيـرـوا أفكار الأشخاص الذين تـبعـونـهم أو تـشتـرونـ منهم أو تـنشـئـونـ علاقاتـ معـهمـ.. استخدمـوا هذهـ الأسـاليـبـ لهـداـيـةـ النـاسـ إـلـىـ دـيـنـ اللهـ سبحانهـ وـتعـالـىـ.. استخدمـوا عـلاـقاـتـكمـ وـصـدـاقـاتـكمـ فيـ الدـعـوةـ إـلـىـ اللهـ.

علينا أن نعتبر أنـ الصـدـاقـةـ تمـثـلـ المـفـتـاحـ الذيـ نـفـتـحـ بهـ عـقـولـ النـاسـ عـلـىـ اللهـ، لـنـسـتـفـيدـ منـ صـدـاقـاتـناـ فيـ سـبـيلـ أنـ نـهـيـ أـصـدـقاءـناـ، كـماـ يـسـتـفـيدـ أـعـدـاءـناـ إـلـىـ دـيـنـ اللهـ فيـ سـبـيلـ إـضـالـ عـبـادـ اللهـ.

وهـذـهـ طـبـعاـ ليـسـ منـ دونـ مـقـابـلـ، فـلوـ أـنـ شـخـصـ جـاءـ وـقـالـ لـكـ: إـذـاـ هـدـيـتـ إـنـسانـاـ لـلـإـسـلامـ فـلـكـ مـئـةـ أـلـفـ دـولـارـ، إـذـاـ هـدـيـتـ إـنـسانـاـ لـلـصلـةـ وـالـصـومـ فـلـكـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـولـارـ، إـذـاـ جـعلـتـ إـنـسانـاـ يـتـرـكـ شـربـ الـخـمـرـ وـلـعـبـ الـقـمارـ فـلـكـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـولـارـ، أـلـاـ يـثـيرـ هـذـاـ اـهـتمـامـكـ؟ـ لـاـ شـكـ فيـ أـنـكـ سـتـرـكـ عـمـلـكـ وـتـنـصـرـ لـهـداـيـةـ النـاسـ.ـ لـكـنـ لـاـ تـنـقـ بـالـحـدـيـثـ الـذـيـ قـالـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ لـعـلـيـ (عـ)ـ عـنـدـمـاـ أـرـسـلـهـ إـلـىـ الـيـمـنـ:ـ "ـيـاـ عـلـيـ لـئـنـ يـهـدـيـ إـلـىـ رـجـلـاـ وـاحـدـاـ خـيـرـ لـكـ مـمـاـ طـلـعـتـ عـلـيـهـ الشـمـسـ"ـ (ـوـلـاـ يـخـتـمـ الـحـدـيـثـ بـهـدـاـيـةـ الرـجـالـ إـلـىـ مـاـ هـوـ يـشـمـلـ النـسـاءـ أـيـضاـ).

ولـكـنـنـاـ نـكـتـشـفـ فـيـ دـاخـلـ نـفـوسـنـاـ عـدـمـ الثـقـةـ بـوـعـدـ اللهـ، أـوـ عـدـمـ التـصـدـيقـ بـالـجـنـةـ وـبـالـآـخـرـةـ، لـأـزـهـ إـذـاـ وـعـدـنـاـ عـبـدـ مـنـ عـبـادـ اللهـ بـأـيـ شـيـءـ مـنـ أـمـورـ الدـنـيـاـ فـإـنـّـاـ نـتـحـمـسـ وـنـبـادرـ وـتـمـلـأـنـاـ الثـقـةـ، وـلـكـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـقـولـ (ـوـسـأـرـءـُـواـ إـلـىـ مـغـفـرـةـ مـنـ رـبـكـمـ وـجـنـدـةـ عـرـضـهـاـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضــ)ـ (آلـ عمرـانـ / 133ـ)، فـإـنـ يـتـحدـثـ عـنـ الـجـنـةـ وـعـنـ رـحـمـتـهـ وـعـنـ الرـزـقـ وـالـنـعـمـ، وـلـاـ أـحـدـ يـعـملـ بـمـاـ قـالـ، فـلـمـاـذـ؟ـ

لـأـزـهـنـاـ لـاـ نـعـطـيـ الـآـخـرـةـ أـهـمـيـةـ، وـلـاـ نـعـطـيـ اللهـ أـهـمـيـةـ فـيـ نـفـوسـنـاـ.

وـمـنـ هـنـاـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـرـبـيـ إـيـمانـاـ حـتـىـ يـكـونـ اللهـ أـحـبـهـ إـلـيـنـاـ، وـحـتـىـ يـكـونـ دـيـنـنـاـ أـحـبـهـ مـنـ أـيـ شـيـءـ آـخـرـ، لـكـيـ نـسـتـطـيعـ أـنـ نـكـونـ قـوـةـ فـيـ الـأـرـضـ.

عـنـدـمـاـ نـقـرأـ هـذـاـ الدـعـاءـ لـاـبـدـ أـنـ نـفـكـرـ فـيـ أـنـ نـكـونـ دـعـاـةـ إـلـىـ طـاعـةـ اللهـ، فـيـ الصـغـيرـ مـنـ الـأـمـورـ وـفـيـ الـكـبـيرـ مـنـهـاـ، دـعـوـةـ غـيرـ الـمـسـلـمـينـ إـلـىـ إـلـهـيـةـ، وـدـعـوـةـ الـمـسـلـمـينـ إـلـىـ الـتـزـامـ بـإـلـهـيـةـ.

فـنـحـنـ إـذـاـ كـانـتـ اـهـتمـامـنـاـ، مـنـ الصـبـاحـ إـلـىـ الـلـلـيـلـ، هـيـ كـيـفـ تـرـبـيـتـ مـؤـمنـاـ أـوـ مـسـلـمـاـ لـطـاعـةـ اللهـ، أـوـ كـيـفـ تـرـبـيـتـ إـنـسانـاـ لـطـريقـ اللهـ، عـنـدـمـاـ يـكـونـ عـنـدـنـاـ هـذـاـ الـاهـتـمـامـ فـسـوـفـ نـسـتـطـيعـ أـنـ نـمـلـأـ الـدـنـيـاـ إـسـلـاماـ.

لـنـأـخـذـ مـثـلاـ عـلـىـ ذـلـكـ:ـ أـنـدوـنيـسيـاـ،ـ أـكـبـرـ الـبـلـدـانـ فـيـ عـدـمـ الـمـسـلـمـينـ مـعـ أـرـهـاـ لـمـ يـدـخـلـهـاـ الـفـتـحـ إـلـهـيـ،ـ فـهـذـهـ الـدـوـلـةـ الـتـيـ فـيـهـاـ مـائـةـ وـخـمـسـونـ مـلـيـونـ مـسـلـمـ،ـ كـيـفـ جـاءـهـاـ إـلـهـيـ؟ـ

جـاءـهـاـ عـنـ طـرـيقـ التجـارـ الـمـسـلـمـينـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـرـوـيـونـ جـونـ إـلـهـيـ بـمـاـ يـحـمـلـونـهـ مـنـ أـفـكـارـ وـأـحـكـامـ إـلـهـيـةـ.ـ بـيـنـمـاـ الـمـعـرـوفـ عـنـدـنـاـ أـنـ التجـارـ يـقـولـونـ:ـ الدـيـنـ لـيـسـ شـغـلـنـاـ!

الـدـيـنـ لـيـمـذـلـ وـجـودـ الـشـخـصـ وـصـفـتـهـ،ـ فـمـثـلاـ تـرـيـدـ أـنـ تـرـبـيـ زـيـائـنـ لـبـيـاضـتـكـ كـذـلـكـ اـرـيـجـ زـيـائـنـ لـدـيـنـكـ وـارـبـحـ زـيـائـنـ لـالـتـزـامـكـ.ـ ثـمـ أـنـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـتـحـمـلـ مـاـ يـقـولـ النـاسـ بـحـقـهـنـاـ،ـ وـمـاـ نـتـعـرـضـ لـهـ مـنـ أـذـىـ مـنـهـمـ.ـ فـالـمـريـضـ قدـ يـشـتـمـ طـبـيـبـهـ عـنـدـمـاـ يـحـسـ بـوـجـعـ الـعـلـاجـ،ـ وـلـكـنـ سـيـشـكـرـهـ جـينـ يـشـفـيـ.

قدـ لاـ تـمـلـكـ مـالـاـ لـتـتـصـدـقـ،ـ أـوـ لـيـسـ عـنـدـكـ جـاهـ حتـىـ تـبـذـلـ جـاهـكـ،ـ وـلـكـنـ لـدـيـكـ لـسـانـكـ،ـ فـاستـعـمـلـهـ لـلـدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ،ـ وـحـتـىـ اـبـتـسـامـكـ،ـ فـأـنـتـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـرـبـيـ زـيـائـنـ لـطـاعـةـ اللهـ،ـ مـنـ خـلـالـ سـلـوكـ "ـكـونـواـ دـعـاـةـ للـنـاسـ بـغـيـرـ الـأـسـنـتـكـمـ"ـ لـيـرـوـاـ مـنـكـ الـمـدـقـ وـالـخـيـرـ وـالـلـوـرـعـ،ـ فـاـبـتـسـامـةـ جـمـيـلـةـ وـوـجهـ مـنـفـتـحـ وـصـدـاقـاتـ قدـ تـسـتـفـيدـ مـنـهـاـ لـتـقـرـيـبـ النـاسـ،ـ فـعـنـدـمـاـ يـحـبـكـ شـخـصـ يـحـبـكـ فـكـرـكـ وـيـحـبـكـ خـطـكـ،ـ وـهـذـهـ لـهـاـ الـثـوابـ الـكـبـيرـ عـنـدـ اللهـ وـتـعـالـىـ،ـ خـصـوصـاـ فـيـ الـطـرـوـفـ الـصـعـبـةـ الـتـيـ يـتـحرـكـ فـيـهـاـ الـكـفـرـ مـنـ كـلـ جـانـبـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـبـعـدـ الـمـسـلـمـينـ عـنـ إـلـهـيـ،ـ فـنـلـاحـظـ آـلـنـ إـذـاعـاتـ وـالـتـلـفـزـيـونـاتـ وـالـمـجـلـاتـ وـكـلـ الـوـسـائـلـ تـرـيـدـ أـنـ تـمـلـلـ الـدـيـنـ،ـ فـهـنـاكـ هـجـومـ عـلـىـ إـلـهـيـ،ـ وـالـهـجـومـاتـ تـدـاهـمـنـاـ فـيـ بـيـوتـنـاـ،ـ لـذـلـكـ إـنـّـاـ نـتـحـاجـ إـلـىـ تـحـمـيـنـ بـيـوتـنـاـ وـأـنـفـسـنـاـ،ـ وـذـلـكـ

بأن نتحوّل جميعاً دعاةً إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.